7

تكلم الطير والحيوانات في القرآن الكريم – النمل والهدهد أنموذجًا

م.د. مهند سالم عباس
جامعة واسط / كلية التربية الأساسية

أ.م.د. ثائر محمود عبيد
الجامعة العراقية / مركز البحوث والدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين, وبعد: فاللغة بمفهومها الحقيقي من خصائص الإنسان، وهي نعمة عظيمة وميزة كبيرة له, ولها قيمتها في جميع مجالات الإنسان، وبفضل هذه النعمة قد أصبح الإنسان كائنا مثاليا على وجه الأرض, ولكن جاء في القرآن الكريم إشارة أن مخلوقات الله الأخرى لها لغات تتخاطب بها، ولكنها تختلف عن لغات البشر المقرونة بالفكر في إصدار الأصوات وتلقيها والتي يحكمها العقل وينظم عملياتها، والنظام هو الذي يمنحها الثراء والفاعلية، ويتطور أمرها بتطوير نضج الإنسان، ونضج عقله وترقي فكره إذن هناك وسائل للتفاهم بين الطيور والحيوان والحشرات وهي لغاتها ومنطقها فيما بينها, والله سبحانه خالق هذه العوالم يقول: « وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ»[1], ولا تكون أمما حتى تكون لها روابط معينة تحيا بها، ووسائل معينة للتفاهم فيما بينها؛ وذلك ملحوظ في حياة أنواع كثيرة من الطيور والحيوان والحشرات.

ويجتهد علماء هذه الأنواع في إدراك شيء من لغاتها ووسائل التفاهم بينها عن طريق الحدس والظن لا عن الجزم واليقين, فأما ما وهبه الله لسليمان عليه السّلام فكان شأنا خاصا به على طريق الخارقة التي تخالف مألوف البشر, لا عن طريق المحاولة منه والاجتهاد كما هو حال العلماء اليوم.

والمحاولات العلمية الحديثة تحاول إدراك لغات الطير والحشرات والحيوانات جميعا وهي بهذا الشأن تثبت ما قصة القرآن عن سليمان عليه السّلام, وما وهبة الله لسليمان ما هي إلا إزاحة لحواجز النوع التي أقامها الله بين هذه الأنواع[2].

وعلم منطق الطير أُوتِيهُ سليمانُ عن طريقِ الوحي بِأَن أَطلعهُ الله على ما في صوت الطيور من تقاطيع دلالةٍ على ما في إدراكها وإرادتها. وهذا العلم جعلهُ اللَّه سبيلًا لهُ يَهتدِي بِه إلى تعَرّف أَحوال يسبق الطير إِلى إِدراكها بما أَودع فيه مِن

القُوى الكثيرة، وللطير دلالة في تخاطب أجناسها واستدعاء أَصنافها والإنباء بِما حولها ما فيه عون على تدبير ملكه وسياسة أُمَّتِهِ.

ودلالة أصوات الطير بعضها مشهور كدلالة بعض أصواته على نداء الذكور لإناثها في موسم التناسل، ودلالة بعضها عند الخوف، فكل كيفية مِن تلك الدلالات الإجمالية تنطوي على تقاطيع خفية مِن كيفِيات صوتية يخالف بعضها بعضًا فيها دلالات على أحوالٍ فيها، فتلك التقاطيع لا يهتدِي إليها الناس ولا يطلِع عليها إلّا خالقها، فالله تعالى أطلع سليمان بوحي على مختلف التقاطيع الصوتِية للطير وأعلمهُ بأحوال نفوس الطير عندما تصفر بتلك التقاطيع وعبر عن أصوات الطير بلفظ منطق تشبيهًا لهُ بنطقِ الإنسانِ مِن حيثُ هو ذُو دلالةٍ لسليمان على ما في ضمائر الطير، فحقيقةُ المنطِقِ الصوت المشتمل على حروف تدل على معان.

وقول الهدهد إِنْ حُمِلَ على حقيقة القول وهو الكلامُ الَّذي مِن شَأْنه أَن ينطق بِه الناس، فقول الهدهد هذا ليس من دلالة منطق الطير الَّذي علمه سليمان لأَن ذلك المنطق هو الدال على ما في نفوس الطير من المدركات وهي محدودة فسليمان عليه الصلاة والسلام يفهم منطق الطير بينما لا يفهمه من كان معه من الناس[3].

وحقيقة النمل والهداهد التي تولد اليوم، هي نسخة من النمل والهداهد التي وجدت منذ ألوف أو ملايين من السنين، منذ أن وجد النمل والهداهد؛ وإن هناك عوامل وراثة خاصة تجعل منها نسخة تكاد تكون طبق الأصل من النسخة الأولى، فهما لا يخرجان من نوعيهما، ليرتقيا إلى نوع آخر, وإن هذا من سنة الله في الخلق[4].

وقد علم رسول الله مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم منطق الحيوان أيضا كما علمه سليمان فعنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضيَ الله عنهما، قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا، أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: « مَنْ رَبُّ هَذَا

الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟» ، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: « أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ ».[5]

بل إن بعض الناس في حياة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكلم مع الحيوان, وهو أيضا من علامات قيام الساعة, فعنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ، فَأَخَذَهَا فَطَلَبَهُ الرَّاعِي، فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ، فَأَقْعَى الذِّئْبُ عَلَى ذَنَبِهِ، قَالَ: أَلَا تَتَّقِي اللهَ، تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَاقَهُ اللهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: يَا عَجَبِي ذِئْبٌ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ، يُكَلِّمُنِي كَلَامَ الْإِنْسِ، فَقَالَ الذِّئْبُ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَثْرِبَ يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ، قَالَ: فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوقُ غَنَمَهُ، حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَزَوَاهَا إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنُودِيَ الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ لِلرَّاعِي: " أَخْبِرْهُمْ " فَأَخْبَرَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " صَدَقَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ، وَيُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ، وَشِرَاكُ نَعْلِهِ، وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ "[6], فليس فيما قصه القران الكريم عن تكلم الحيوانات مع سليمان عليه الصلاة والسلام بمستبعد, هذا إذا علمنا بان الله تعالى يقول لشيء كن فيكون, وهو على كل شيء قدير. والحمد لله رب العلمين.

الباحث

المبحث الأول: قول النملة في القرآن الكريم.

المطلب الأول: أولاً: قول النملة المحذرة لبني جنسها.

قوله تعالى: (حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ), يعني أتى سليمان وجنوده تظلّلهم الطير على واد النمل, قيل أَنه وادٍ بأَرض الشام, وقيل بالطائف, ولم تتوقف العبرة على تعيينه فلم يعين، وأضيف للنمل لكثرته فيه, وسميت نملا لتنملها أَي: لكثرة حركتها، وأتى الله تعالى بحرف الجر (على) لوجهين أحدهما: الأول: أَن إِتيانهم كَانَ مِن فوقُ فأَتى بِحرفِ الِاستعلاءِ, أي أنهم كانوا يسيرون في الهواء فأرادوا أن ينزلوا هناك فأحست النملة بنزولهم فأنذرت النمل, والثاني: أنهم أتوا عليه مشاة وهنا يُراد قطعُ الوادي وبلوغُ آخره مِن قولهم أَتى على الشَّيءِ إذا أنفذه وبلغ آخره[7].

{ قَالَتْ نَمَلَةٌ } أي: قولا مشتملا على حروف وأصوات فصاحت بصوت خلقه الله لها، ولما كان ذلك الصوت مفهوما لسليمان عبر عنه بالقول. وأسمعت النمل إما بنفسها ويكون الله قد أعطى النمل أسماعا خارقة للعادة، لأن التنبيه للنمل الذي قد ملأ الوادي بصوت نملة واحدة من العجائب. وإما بأنها أخبرت من حولها من النمل ثم سرى الخبر من بعضهن لبعض حتى بلغ الجميع وأمرتهن بالحذر. وجاءت كلمة النملة مفردة، وقد ذكرها الله في كتابه بصيغة التنكير؛ فهي نكرة في قومها كما هو ظاهر الآية؛ فليست ملكة أو وزيرة بل هي نملة من عوام النمل[8].

{ يا أيها النمل ادخلوا مَسَاكِنَكُمْ} أي بيوتكم ، ويقال: حجركم وهي قرى النمل التي يسكنها تحت وجه الأرض، المحكمة الوضع والتركيب والتقسيم, { لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ }، أي يكسرنكم بالحوافر والأقدام. وإنما خاطبهم بقوله ادْخُلُوا بخطاب العقلاء، لأنه حكى عنهم ما يحكى عن العقلاء, وقوله: {لا يَحْطِمَنَّكُمْ}: يحتمل أن يكون جوابا للأمر، أي ادخلوا لا يحطمنكم، مثل: اجتهد لا ترسب، وأن يكون نهيا بدلا من الأمر، أي في معنى: لا تكونوا حيث أنتم، فيحطمكم، على طريقة: لا أرينك هاهنا[9].

{ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ } يعني: أي قوم سليمان يكسرونكم بوطئهم غير عالمين بكم, فلا يشعرون بكم ولو كانوا يشعرون بكم، لا يحطمونكم لأنهم علموا أن سليمان ملك عادل لا يجور، ولئن علم بها لم توطأ, ويقال: { وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} يعني: جنوده خاصة، لأنه علم أن سليمان يعلم بمكانه ويتعاهده. ويقال: { وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} يعني: النمل لا يشعرون بسليمان وجنود حتى أخبرتهم النملة المنذرة ، فلا يكون اللوم عليهم، وإنما اللوم على النمل إذْ لم يسرع بالدخول[10], وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ تَبَسُّمَ سُلَيْمَانَ سُرُورٌ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنْهَا من ثنائها بعدله في ملكه، وبفصاحة كلامها واهتدائها إلى تدبير مصالح بني نوعها، وفهمه بمعناه وبشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين أنواع المخلوقات، وأكد التبسم بقوله:{ ضاحكاً} بمعنى أَنه قد تجاوز حدّ التبسم إِلى الضحك، إِذ قد يكون التبسم من غير ضحكٍ ولا رضًا, وتبسم الضحك إنما هو عن سرورٍ بما آتاه الله مما لم يُؤتِ أَحدًا من العالمين, وقال رَبِّ أَوزعني أَن أَشكر نعمتك التي أَنعمت علي يعني: ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي من تعليمي منطق الطير والحيوان وعلى والدي بالإسلام لك والإيمان بك، وأن أعمل عملا ترضاه قياما بواجب الشكر على النعمة، واجعلني إذا توفيتني في الجنة في زمرة الصالحين[11].

ثانياً: حقيقة كون النملة متكلمة.

قال الرازي: (أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: قالَتْ نَمْلَةٌ فَالْمَعْنَى أَنَّهَا تَكَلَّمَتْ بِذَلِكَ وَهَذَا غَيْرُ مُسْتَبْعَدٍ، فَإِنَّ اللَّه تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ فِيهَا الْعَقْلَ وَالنُّطْقَ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ تَنْبِيهٌ عَلَى أُمُورٍ: أَحَدُهَا: أَنَّ مَنْ يَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ لَا يَلْزَمُهُ التَّحَرُّزُ، وَإِنَّمَا يَلْزَمُ مَنْ فِي الطَّرِيقِ التَّحَرُّزُ وَثَانِيهَا: أَنَّ النَّمْلَةَ قَالَتْ: وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ كَأَنَّهَا عَرَفَتْ أَنَّ النَّبِيَّ مَعْصُومٌ فَلَا يَقَعُ مِنْهُ قَتْلُ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ السَّهْوِ، وَهَذَا تَنْبِيهٌ عَظِيمٌ عَلَى وُجُوبِ الْجَزْمِ بِعِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَثَالِثُهَا: مَا رَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّ تِلْكَ النَّمْلَةَ إِنَّمَا أَمَرَتْ غَيْرَهَا بِالدُّخُولِ لِأَنَّهَا خَافَتْ عَلَى قَوْمِهَا أَنَّهَا إِذَا رَأَتْ سُلَيْمَانَ فِي جَلَالَتِهِ، فَرُبَّمَا وَقَعَتْ فِي كُفْرَانِ نِعْمَةِ اللَّه تَعَالَى وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ فَأَمَرَتْهَا بِالدُّخُولِ فِي مَسَاكِنِهَا لِئَلَّا تَرَى تِلْكَ النِّعَمِ فَلَا تَقَعُ فِي كُفْرَانِ نِعْمَةِ اللَّه تَعَالَى، وَهَذَا تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ مُجَالَسَةَ أَرْبَابِ الدُّنْيَا مَحْذُورَةٌ)[12].

قال القرطبي: (في قَوْلُهُ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ:" أَنْ قَرَصَـتْكَ نَمْلَةٌ أَهْلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَـبِّحُ"[13] مُقْتَضَـى هَذَا أَنَّهُ تَسْـبِيحٌ بِمَقَالٍ وَنُطْقٍ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنِ النَّمْلِ أَنَّ لَهَا مَنْطِقًا وَفَهِمَهُ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَهَذَا مُعْجِزَةٌ لَهُ- وَتَبَسَّمَ مِنْ قَوْلِهَا. وَهَذَا يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِـحَةً أَنَّ لِلنَّمْلِ نُطْقًا وَقَوْلًا، لَكِنْ لَا يَسْـمَعُهُ كُلُّ أَحَدٍ، بَلْ مَنْ شَـاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِمَّنْ خَرَقَ لَهُ الْعَادَةَ مِنْ نَبِيٍّ أَوْ وَلِيٍّ. وَلَا نُنْكِرُ هَذَا مِنْ حَيْثُ أَنَّا لَا نَسْـمَعُ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ الْإِدْرَاكِ عَدَمُ الْمُدْرَكِ فِي نَفْسِـهِ. ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَـانَ يَجِدُ فِي نَفْسِـهِ قَوْلًا وَكَلَامًا وَلَا يُسْـمَعُ مِنْهُ إِلَّا إِذَا نَطَقَ بِلِسَـانِهِ. وَقَدْ خَرَقَ اللَّهُ الْعَادَةَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْمَعَهُ كَلَامَ النَّفْسِ مِنْ قَوْمٍ تَحَدَّثُوا مَعَ أَنْفُسِهِمْ وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا فِي نُفُوسِـهِمْ، كَمَا قد نقل منه الكثير من أَئِمَّتُنَا فِي كُتُبِ مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[14].

قـال ابن العربي: (فَجَعَـلَ اللَّهُ لِسُـلَيْمَـانَ مُعْجِزَةَ فَهْمِ كَلَامِ الطَّيْرِ وَالْبَهَـائِمِ وَالْحَشَـرَاتِ؛ وَإِنَّمَا خَصَّ الطَّيْرَ لِأَجْلِ سَـوْقِ قِصَّـةِ الْهُدْهُدِ بَعْدَهَا. أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ ذَكَرَ قِصَّـةَ النَّمْلِ مَعَهَا، وَلَيْسَـتْ مِنْ الطَّيْرِ. وَلَا خِلَافَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ فِي أَنَّ الْحَيَوَانَاتِ كُلَّهَا لَهَا أَفْهَامٌ وَعُقُولٌ)[15]. قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ»[16].

المطلب الثاني: ما يتعلق بقول النملة من فوائد وحكم

الفائدة الأولى: أسم نملة سليمان وصفتها.

القرآن الكريم لم يذكر لنا حجم النملة المتكلمة ولا نوعها ولا اسـمها، وإنما نؤمن بأنها نملة من نوع النمل, وبالغ بعض القصـاص في كبرها واسـمها ولا يصـح له مستند[17].

ومما جاء في وصـفها بأنها كانت نملة عرجاء لها جناحان فهي من الطير ولولا ذلك لم يعرف سليمان ما تقول, وقيل: هي ملكة النمل واسمها منذرة أو حرمي وقيل: هي في عظم الديك أو النعجة أو الذئب[18], ويردهَ قَوْلُـهُ تعالى" لَا يَحْطِمَنَّكُمْ" يَدُلُّ عَلَى النمل الصـغير المعروف، إِذْ لَوْ كَانَتْ كَهَيْئَةِ الذِّئَابِ والنعاج لما حطمت بالوطي[19].

وقد عمد بعض المؤولين إلى أوهام يفهمون النص الكريم من خلالها؛ فقالوا: إن النمل ليس هو الحشـــرة التي نعرفها، وإنما هم قوم ضـــعاف. وقالوا إن المراد بوادي النمل: الوادي الكثير الناس، كأنهم النمل في كثرتهم, وقد رد عليه علماؤنا بان ما قاله ليس بشيء؛ لأنه ينافيه قولها: { وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} ؛ إذ كيف لا يشعر جند سليمان بالناس وخاصة إذا كانوا كثيرين كالنمل, ولو سلمنا بوجود مكان من الأرض اســـمه وادي النمل؛ فهذا احتمال عقلي، ولكن ماذا نفعل في قوله تعالى: {قَالتْ نَمْلةٌ} وقولها: {يَا أَيُّهَا النَّمْلُ} ؟ فهل يمكن لغة أن يكون الناس هم النمل؟ وماذا يقول المؤولون في قوله: {فَتَبَسَّـــمَ ضَـــاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا} ؟ والضـــمير عائد عليها[20].

قال ابن العربي: (قيل: إنَّ النَّمْلَةَ كَانَ لَهَا جَنَاحَانِ، فَصَارَتْ فِي جُمْلَةِ الطَّيْرِ، وَلِذَلِكَ فَهِمَ مَنْطِقَهَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ إلَّا مَنْطِقَ الطَّيْرِ؛ وَهَذَا نُقْصَـــانٌ عَظِيمٌ. وَقَدْ بَيَّنَّا الْحِكْمَةَ فِي ذِكْرِ الطَّيْرِ خُصُوصًا دُونَ سَائِرِ الْبَهَائِمِ وَالْحَشَرَاتِ، وَمَا لَا يَعْقِلُ)[21].

قال القرطبي:(ذكروا اسم النملة المكلمة لسليمان عليه السلام ، وقالوا اسمها حرميا، ولا أدري كيف يتصور للنملة اسم علم والنمل لا يسمي بعضهم بعضا ، ولا الآدميون يمكنهم تسمية واحدة منهم باسم علم، لأنه لا يتميز للآدميين بعضهم من بعض ، ولا هم أيضـــا واقعون تحت ملكة بني آدم كالخيل والكلاب ونحوها، فإن العلمية فيما كان كذلك موجودة عند العرب. فإن قلت: إن العلمية موجودة في الأجناس كثعالة وأسامة وجعار وقثام في الضبع ونحو هذا كثير؛ فليس اسم النملة من هذا ؛ لأنهم زعموا أنه اسم علم لنملة واحدة معينة من بين سائر النمل، وثعالة ونحوه لا يختص بواحد من الجنس ، بل كل واحد رأيته من ذلك الجنس فهو ثعالة ، وكذلك أسامة وابن آوى وابن عرس وما أشبه ذلك. فإن صح ما قالوه فله وجه، وهو أن تكون هذه النملة الناطقة قد ســـميت بهذا الاســـم في التوراة أو في الزبور أو في بعض الصحف سماها الله تعالى بهذا الاسم ، وعرفها به الأنبياء قبل سليمان أو بعضهم. وخصت بالتسمية لنطقها وإيمانها فهذا وجه)[22].

ومن يذهب من المفسرين إلى أن للحيوانات نفوسا ناطقة لا يمنع أن تكون لها أسماء وضعها بعضها لبعض لكن لا بألفاظ كألفاظنا بل بأصوات تؤدى على نحو

مخصـــوص من الأداء ولعله يشـــتمل على أمور مختلفة كل منها يقوم مقام حرف من الحروف المـألوفـة لنـا إذا أراد أن يترجم عنهـا من عرفهـا من ذوي النفوس القدسية، ويقرب هذا لك أن كلام الأجنبي لا نسمع منه إلا كما نسمع من أصوات العصافير ونحوها وإذا ترجم لنا بما نعرفه ظهر مشتملا على الحروف المألوفة[23].

وقال أبو حيان الأندلســـي: (وذكروا اختلافاً في صـــغر النملة وكبرها، وفي اسمها العلم ما لفظه. وليت شعري، من الذي وضع لها لفظاً يخصها، أبنو آدم أم النمل ؟ وقالوا : كانت نملة عرجاء، ولحوق التاء في قالت لا يدل على أن النملة مؤنث، بل يصـح أن يقال في المذكر: قالت نملة، لأن نملة ، وإن كان بالتاء، هو مما لا يتميز فيه المذكر من المؤنث. وما كان كذلك، كالنملة والقملة، مما بينه في الجمع وبين واحدة من الحيوان تاء التأنيث ، فإنه يخبر عنه إخبار المؤنث، ولا يدل كونه يخبر عنه إخبار المؤنث على أنه ذكر أو أنثى، لأن التاء دخلت فيه للفرق، لا دالة على التأنيث الحقيقي، بل دالة على الواحد من هذا الجنس. وقال الزمخشري، وعن قتادة: أنه دخل الكوفة، فالتف عليه الناس فقال: سلوا عما شئتم. وكان أبو حنيفة حاضـراً، وهو غلام حدث، فقال: سـلوه عن نملة سـليمان، أكانت ذكراً أم أنثى: فسألوه فأفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى. فقيل له: من أين عرفت؟ فقال: من كتاب الله ، وهو قوله:(قَالَتْ نَمْلَةٌ)، ولو كان ذكراً لقال قال نملة . قال الزمخشـري : وذلك أن النملة مثل الحمامة والشـاة في وقوعها على الذكر والأنثى، فيميز بينهما بعلامة، نحو قولهم: حمامة ذكر وحمامة أنثى ، وهو وهي. انتهى. وكان قتادة بن دعامة السـدوســي بصــيراً بالعربية، وكونه أفحم، يدل على معرفته باللسان، إذ علم أن النملة يخبر عنها إخبار المؤنث، وإن كانت تنطلق على الأنثى والذكر، إذ هو مما لا يتميز فيه أحد هذين، فتذكيره وتأنيثه لا يعلم ذلك من إلحاق العلامة للفعل فتوقف، إذ لا يعلم ذلك إلا بوحي من الله. وأما اســـتنباط تأنيثه من كتاب الله من قوله:(قَالَتْ نَمْلَةٌ)، ولو كان ذكراً لقال: قال نملة، وكلام النحاة على خلافه، وأنه لا يخبر عنه إلا إخبار المؤنث ، سواء كان ذكراً أم أنثى. وأما تشـبيه الزمخشري النملة بالحمامة والشاة ، فبينهما قدره مشترك، وهو إطلاقهما على الذكر والمؤنث، وبينهما فرق، وهو أن الحمامة والشـــاة يتميز فيهما المذكر من المؤنث،

فيمكن أن تقول: حمامة ذكر وحمامة أنثى، فتميز بالصـــفة. وأما تمييزه بهو وهي، فإنه لا يجوز. لا تقول: هو الحمامة، ولا هو الشـــاة؛ وأما النملة والقملة فلا يتيمز فيـه المـذكر من المؤنـث، فلا يجوز فيـه في الإخبـار إلا التـأنيـث، وحكمـه حكم المؤنث بالتاء من الحيوان العاقل نحو: المرأة، أو غير العاقل كالدابة، إلا أن وقع فصـــل بين الفعل وبين ما أســـند إليه من ذلك، فيجوز أن تلحق العلامة الفعل، ويجوز أن لا تلحق، على مـا قرر ذلـك في بـاب الإخبـار عن المؤنـث في علم العربية)[24].

قال الألوسـي: (ألا ترى قوله صـلّى الله عليه وسـلّم: «لا يضـحى بعوراء ولا عمياء ولا عجفاء»[25], كيف أخرج عليه الصـلاة والسـلام هذه الصـفات على اللفظ مؤنثة ولا يعني صلّى الله عليه وسلّم الإناث من الأنعام خاصة فحينئذ قوله تعالى: قالت نملة روعي فيه تأنيث اللفظ وأما المعنى فيحتمل التذكير والتأنيث على حد سواء، وكيف يسأل أبو حنيفة رضـي الله تعالى عنه بهذا ويفحم به قتادة مع غزارة علمه، والأشبه أن ذلك لا يصح عنهما)[26].

قال الإمام الشوكاني: (يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ فِي المذكر قالت، لأن نَمْلَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ بِالتَّاءِ فَهِيَ مِمَّا لَا يَتَمَيَّزُ فِيهِ الْمُذَكَّرُ مِنَ الْمُؤَنَّثِ بِتَذْكِيرِ الْفِعْلِ، وَلَا بِتَأْنِيثِهِ، بَلْ يَتَمَيَّزُ بِالْإِخْبَارِ عَنْهُ بِأَنَّهُ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِمِثْلِ هَذَا كَثِيرُ فَائِدَةٍ ، وَلَا بِالتَّعَرُّضِ لِاسْمِ النَّمْلَةِ، وَلِمَا ذُكِرَ مِنَ الْقِصَصِ الْمَوْضُوعَةِ، وَالْأَحَادِيثِ الْمَكْذُوبَةِ)[27].

الفائدة الثانية: طبائع النمل.

يعيش النمل جماعات توزع العمل بين أفرادها في القرية, وحياته منتظمة حية نشطة لها كيان ودستور يحكمها في كل سلوكها, وسميت النملة نملة لتنملها وهو كثرة حركتها. والنمل عظيم الحيلة في طلب الرزق، فإذا وجد شـــيئا أنذر الباقين ليأتوا إليه، ومن طبعه أنه يحتكر قوته من زمن الصـيف لزمن الشـتاء، وإذا خاف العفن على الحب أخرجه إلى ظاهر الأرض ونشـره , وإنها تكسـر الحبة بقطعتين لئلا تنبت إلا الكزبرة فإنها تكسر بأربع قطع لأنها تنبت إذا كسرت بقطعتين, ولاحظ المهتمون بدراسة النمل وجود حبات بيضاء صغيرة مثل رأس الدبوس أمام أعشاش

النمل، وبفحصـها تبيَّن أنها زريعة النبات التي تحمل خلايا الإنبات أخرجت كي لا تنبت[28].

والنمل شديد الشم ومن أسباب هلاكه نبات أجنحته، فإذا صار النمل كذلك أخصبت

العصـافير لأنها تصـيدها في حال طيرانها, هو الوحيد من بين سـائر الحشـرات الذي يهتم بدفن موتاه, وهو يحفر قريته فيجعل فيها تعاريج لئلا يجري إليها ماء المطر، وإنما يفعل ذلك خوفا على ما يدخره من البلل, وليس في الحيوان ما يحمل ضـعف بدنه مرارا غيره, ومنه ما يسمى الذر الفارسي، ومنه أيضـا ما يسمى بنمل الأسد، سمي بذلك لأن مقدمه يشبه وجه الأسد ومؤخره يشبه النمل.

وقرون الاســـتشـــعار في النملة تثير العلماء؛ لأن النملة الواحدة ترى قطعة السكر، فلا تقربها ولكنها تذهب لاستدعاء جيش من النمل قادر على تحريك قطعة السـكر, وتدل النملة صـويحباتها على مكان الطعام فيتبعنها كالرائد الذي لا يكذب أهله, ومن العجب أن تفكر أنها توحي إلى أختها بشـــيء, ولو قتلتَ النمل الأول الذي جاء للاســـتطلاع تلاحظ أن النمل امتنع عن هذا المكان، لأن النملة التي نجتْ من القتل ذهبت إلى مملكتها، وحذَّرتهم من هذا المكان.

وقد درس احد الغرب مدينة النمل حوالي عشـــرين عاما، في بقاع مختلفة من العالم؛ فوجد أن كل شـــيء يحدث في هذه المدينة في دقة بالغة، وتعاون عجيب، ونظام لا يمكن أن نراه في مدن البشر فهو يرعى أبقاره، وما هذه الأبقار إلا خنافس صـغيرة رباها النمل في جوف الأرض, ووجد جماعة من النمل تقوم بحرث الأرض على أحســـن ما يقضـــي به علم الزراعة، فبعضـــها زرع بالأرز، وجماعة أزالت الأعشـــاب، وغيرها قامت لحراســـة الزراعة من الديدان, ولما بلغت عيدان الأرز نموها، وكان يرى صـــفا من الشـــغالة تتســـلق العيدان وتنزع الحب، وتعود به إلى مخازن تحت الأرض. وبعد الحصـــاد هطل المطر أياما، وما أن انقطع حتى قام النمل بإخراج الأرز من المخازن، وتعريضه للشمس؛ ليجف ثم عادوا به من جديد. فمملكة النمل هي نظام يعرف فيه كُلٌّ مهمته، ويؤديها على أكمل وجه, وفيها

عجائب وآيات، سبحان خالقها، وسبحان مَنْ هداها إلى هذه الهندسة المحكومة بالغريزة[29].

الفائدة الثالثة: روح المبادرة والشعور بالمسؤولية اتجاه الجماعة

أثبتَ اللهُ جل جلاله للنمل الروحَ الجماعيةَ، فلم تفكّرِ النملةُ في إنقاذِ نفسِها على نحوٍ أنانيٍّ، بل حذَّرتْ أصحابَها من سليمانَ عليه السلام وجنودِه، ممّا يدلُّ على روحِ الجماعةِ، والتعاونِ، والتفاني المفطورةِ عليها؛ ولم ينسها هول ما رأت من عظمة ذلك الجند إنذار بني جنسها؛ إذ كانت تدرك بفطرتها أن لا حياة لها بدونهم، ولا نجاة لها إذا لم تنج معهم، فأنذرتهم في أشد ساعات الخطر أبلغ الإنذار؛ ولم ينسها الخوف على نفسها وعلى بني جنسها من الخطر الداهم، أن تذكر عذر سليمان وجنده.

عجيب أمر هذه النملة لم تهرب بنفسها عندما أحست بالخطر ولم تقل أنا نملة وحيدة ماذا أفعل؟ نملة نكرة لا شأن لها حملت هم قومها فأنقذ الله تعالى وادي النمل على يديها, إنها أدركت خطورة مسؤوليتها، إنها عندما أحست بقدوم الخطر قبل وصوله قامت صائحة معلنة لبني قومها: إن الخطر قادم أنقذوا أنفسكم، ولم تتقن فن الكلام فحسب، بل وضعت خطة لقومها، فقالت: [ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ] ورأت أن المصلحة في كيفية درء المفسدة عن قومها بتبيين طريق النجاة لهم حتى لا يضلوا فيقعوا تحت وطأة أقدام الجيش القادم, ولم تنتظر أن يأتي أحد من قومها أو ممن يحرس وادي النمل ذاك، ويخبر النمل بأنه سيأتي جيش يحطمنا، بل كانت عندها روح المبادرة الذاتية، في المسارعة إلى إنقاذ قومها وإقصائهم عن مواطن الهلاك[30].

هذه عظة بالغة لمن لا يهتم بأمور قومه، ولا يؤدي الواجب نحوهم، ولمن يرى الخطر داهماً لقومه، فيسكت ويتعامى، ولمن يقود الخطر إليهم ويصبه بيده عليهم، وكم في دنيا الناس من المستضعفين من تطؤهم أقدم الأقوياء، دون أن يشعروا بهم، وهم في طريقهم إلى التمكين لسلطانهم؛ فهذه النملة تعلمنا أن لا حياة للشخص إلاّ بحياة قومه، ولا نجاة لهم إلاّ بنجاتهم، ولا خير لهم فيه إلاّ إذا شعر

بأنه جزء منهم, ومظهر هذا الشـــعور أن يحرص على خيرهم كما يحرص على نفسه[31].

الفائدة الرابعة: لغة النمل

صـــرحت الآية الكريمة بأن النملة تكلمت لكي تحذر جماعتها من خطر قد يدهمها، وفى ذلك دليل على أن النمل له لغة يتخاطب ويتحدث بها وهذا ما أثبتته الأبحاث الحديثة بوسـائلها العلمية الدقيقة عن حياة النمل الاجتماعية القائمة على التفاهم فيما بينها، وأن مجتمع النمل له لغة وأنها تتجاذب بها أطراف الحديث بكلام خاص أو بإشـارات مسـموعة أو غير ذلك مما علمه الله لنبيه سـليمان عليه السلام، ويتفاهم النمل بعضه مع بعض في كل ما يتصل بشئونها المختلفة، والنمل كما شـــوهد في مختلف بيئاته يقوم بمشـــروعات جماعية مثل مد الطرق وإقامة الجسـور وبناء مسـتعمراته، ولا يمكن أن يتم التعاون على إنجاز هذه الأعمال إلا بالتفاهم بلغة متداولة بينها.

القرآن الكريم أخبر بأن النملة قد عرفت سليمان، وأثبتت عينه وأنه عليه السلام علم منطقها، وأنها أمرت صـــويحباتها بما هو أحزم وأســـلم، ثم أخبر أنها تعرف الجنود من غير الجنود، وقد قالت: {وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} ، ثم بين أن كلام النمل قول ومنطق.

قال العلماءُ: (إنّ في النملِ غُدداً كيميائيةً في البطنِ والرأسِ، تقومُ بإرســالِ المادةِ الكيميائيةِ؛ التي هي اللغةُ التي تتخاطبُ بها جماعةُ النملِ).

واللغةُ التي تجرِي بين النَّملِ هي لغةٌ كيميائيّةٌ، النمل تسـتقبلُ بأعضـاءِ حاسّـةِ الشـمّ الموزَّعةِ على قرنيّ الاسـتشـعارِ هذه الإشـاراتِ الكيميائيَّةَ، فإذَا أرادَ النملُ الانتقالَ الجماعي إلى مكانِ الغذاء خرجتْ نملةٌ تبحثُ عن الغذاءِ، وأفرزتْ مادَّةً كيميائيّةً على طريقِ سيرِها، وهذه لغةٌ من لغاتِ النملِ, وهناك لغةٌ صـوتيةٌ، وهناك لغةٌ إشاريةٌ ، ولغةٌ مشاهدَةٌ، ولغةُ الأصواتِ، ولغةُ الشمّ، فتكلم النملة غير مستبعد، فإن حصـــول العلم والنطق لها ممكن في نفســـه، والله ســـبحانه قادر على كل الممكنات[32].

الفائدة الخامسة: النَّمْلَة تنصف جند الله بأنهم لا يضروا.

من تأمل قوله تعالى: (وَهُمْ لاَ يَشْـــعُرُونَ) يجد اعتذار عجيب من هذه النملة الذكية؛ حيث ذكرت أن جند ســـليمان عليه الســـلام القادم قد يهلك النمل، وهم لا يشـــعرون بأن تحت أقدامهم وادياً من أودية النمل؛ فهذا الجيش لا يتعمد قتلنا، ولا يريد تحطيمنا عن قصد؛ فالنملة تعلم أن سليمان عليه الصلاة والسلام نبي رحيم، لا يحب الشـر للخلق أو يضـمره لهم؛ فحري بنا نحن المسـلمين بقبول عذر من أخطأ في حقنا وهو لم يشعر بخطئه ذاك, لا يقصد سواء بقول أو بفعل.

ونلاحظ ان النملة تشـير إلى إن دين سـليمان هو دين العدل والرأفة والرحمة بقولها:(وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ), ونظير قول النملة في جند سليمان وهم لا يشعرون قول الله تعالى في جند محمد عليه السـلام (فَتُصِـيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ) التفاتا إلى إنهم لا يقصدون ضرر مؤمن ألا إن المستثنى على جند سليمان هو النملة بإذن الله والمستثنى على جند محمد هو الله بنفسه لما لجند محمد من الفضل على جند غيره من الأنبياء كما كان لمحمد الفضل على جميع النبيين عليهم السلام[33].

وهذا الثناء من النملة يدل على ما امتاز به دين الله من الأخلاق الســـامية مع جميع أنبياء الله عليهم الصـلاة والسـلام, فهذا رسـول الله –صـلى الله عليه وسـلم– يضـرب المثل العليا فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُـولِ اللَّهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا»[34], وعلى هذه السنة سار أصـحابه من بعد قال أبو بكر رضـي الله عنه موصـيًا أحد قواده: (لا تقتلن امرأة ولا صـبيًّا ولا كبيرًا هرمًا ولا تقطعن شـــجرًا مثمرًا، ولا تخربن عامرًا، ولا تعقرن شـــاة، ولا بعيرًا إلا لمأكل ولا تحرقن نخلًا، ولا تفرقنه ولا تغلل ولا تجبن)[35].

الفائدة السادسة: بلاغة النملة

قال تعالى: { قَالَتْ نَمْلَةٌ يا أيها النمل ادخلوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ}[36].

قال أهل المعاني في كلام هذه النملة عشرة أنواع من البلاغة: نادت ونبهت وسمت وأمرت ونصت وحذرت وخصت وعمت وأشارت وأعذرت، ووجهه: نادت: يا، نبهت: ها، سمت: النمل، أمرت: ادخلوا، نصت: مساكنكم، حذرت: لا يحطمنكم، خصت: سليمان، عمت: وجنوده، أشارت: وهم، أعذرت: لا يشعرون[37]، ولما كان هذا أمر معجباً لما فيه من جزالة الألفاظ وجلالة المعاني تسبب عنه قوله { فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَ}.

وقالوا أيضا: إنَّ التعبير عن قول النملة قد جمع ثلاثة عشر جنساً من الكلام: (النداء والكناية في "أيُّ", والتنبيه في "ها", والتسمية في النمل والأمر والقصة في مساكنكم, والنهي التحذيري والتخصيص في "سليمان", والتعميم في "وجنوده" والكناية بالضمير في مواضع والعذر في "وهم لا يشعرون" والتأكيد في "لا يحطِمَنَّكُم" والإيجاز بالعطف)[38].

المبحث الثاني: قول الهدهد في القرآن الكريم.

المطلب الأول: أولاً: قول الهدهد لسليمان بإحاطته بنبأ يقين.

قال تعالى: (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)[39]

تفقد سليمان (عليه الصلاة والسلام) الطير فلم ير الهدهد, والتَّفَقُّدُ: تَطَلُّبُ مَا غَابَ عنك من شيء, وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي مَعْنَى تَفَقُّدِهِ لِلطَّيْرِ، القول الأول: ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ الْعِنَايَةُ بِأُمُورِ الْمُلْكِ، القول الثاني: أَنَّهُ كَانَ يُظِلُّهُ مِنَ الشَّمْسِ فَدَخَلَتْ الشَّمْسَ مِنْ مَوْضِعِ الْهُدْهُدِ حِينَ غَابَ، القول الثالث: إِنَّمَا طَلَبَ الْهُدْهُدَ لِأَنَّهُ احْتَاجَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْمَاءِ عَلَى كَمْ هُوَ مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ، لِأَنَّ مَقَايِيسَ الْمَاءِ كَانَتْ إِلَيْهِ, وهم بأرض عَدِمَ فِيهَا الْمَاءَ، وَأَنَّ الْهُدْهُدَ كَانَ يَرَى بَاطِنَ الْأَرْضِ وظاهرها، فكان يخبر سليمان بموضع الماء، قاله ابن عباس وقيل له: كيف يرى الهدهد باطن الأرض وهو لا يرى الفخ حين يقع فيه؟! فقال: إذا جاء القدر عمي البصر[40].

وعندما لم ير سليمان (عليه الصلاة والسلام) الهدهد، اشتد غيضه ولا عجب فهو النبي الملك الحريص على رعيته فقال: هل أخطأه بصري فلم أره مع حضوره لساتر ستره عني، أم غاب فلم يحضر؟ فقد اتهم نظره وشَكَّ أولاً، فربما الهدهد يكون موجوداً، ولم يَرَهُ سليمان عليه الصلاة والسلام, وجاءت كلمة (الهدهد) معرفة للدلالة على كونه هدهد معروف بشخصه وذاته، وقد يكون هو الذي سخر لسليمان من أمة الهداهد، أو يكون صاحب الرئاسة في ذلك الموكب من مجموعة جنسه, فنوع الإدراك الذي ظهر من ذلك الهدهد الخاص في مستوى يعادل مستوى الأذكياء الأتقياء من الناس[41].

ويتبين لنا من سؤال سليمان إن الهدهد غاب من غير إذن فلا بد من الحزم وإصدار العقوبة عليه بغيابه بغير إذن وهي العذاب الشديد أو الذبح جزاء له وعبرة لغيره،(لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ), وفيها دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَدَّ عَلَى قَدْرِ الذَّنْبِ لَا عَلَى قَدْرِ الْجَسَدِ, ثم استدرك سليمان (عليه الصلاة والسلام) بان ذلك يكون بعد أن نسمع منه فقد يكون له عذر يشفع له ،(أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ), أَيْ: بِحُجَّةٍ بَيِّنَةٍ, فلم يصدر الحكم النهائي حتى يأتي الهدهد[42].

(فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ) لم يطل الوقت حتى جاء الهدهد لسليمان, وَوَصَفَ مُكْثَهُ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى إِسْرَاعِهِ خَوْفًا مِنْ سُلَيْمَانَ, فاقترب قائلا: اطلعت على ما لم تطلع عليه وأدركت ما لم تدركه مع ما أتاك الله من العلم والحكمة وجئتك من مدينة سبأ في اليمن بخبر صدق. وَأما قَوْله: {أحطت بِمَا لم تحط بِهِ} الْإِحَاطَة هُوَ الْعلم بالشَّيْء من جَمِيع جهاته. وقوله هَذَا رَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ تَعْلَمُ الْغَيْبَ[43].

(مِنْ سَبَإٍ) قرأ ابن كثير وأبو عمرو سَبَإٍ بالنصب بغير تنوين. وقرأ الباقون بالكسر والتنوين. فمن قرأ بالنصب جعله اسم مدينة، وهي مؤنث لا ينصرف، ومن قرأ بالكسر والتنوين جعله اسم الرجل. والنبأ الخبر الذي له شأن[44],

فان قيل: كيف خفى على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة، فيجاب: لعل الله عز وجل أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها، كما أخفى مكان يوسف على يعقوب[45].

قال الزمخشري: (ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتى من فضـــل النبوّة والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة، ابتلاء له في علمه، وتنبيها على أنّ في أدنى خلقه وأضـــعفه من أحاط علما بما لم يحط به، لتتحاقر إليه نفســه ويتصــاغر إليه علمه، ويكون لطفا له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة)[46].

وهذه الجســـارة من الهدهد بان لديه من العلم، لم يكن عند غيره ، وتبجحه بذلك، وإبهام حتى تتشوف النفس إلى معرفة ذلك المهم ما هو, وهذه الإخبارات من الهدهد كانت على ســبيل الاعتذار عن غيبته عن ســليمان ، وعرف أن مقصــد ســـليمان الدعاء إلى توحيد الله والإيمان به ، فكان ذلك عذراً واضـــحاً أزال عنه العقوبة التي كان سليمان قد توعده بها . وقام ذلك الإخبار مقام الإيقان بالسلطان المبين ، إذ كان في غيبته مصلحة لإعلام سليمان بما كان خافياً عنه ، ومآله إلى إيمان الملكة وقومها[47].

ثانيا: قول الهدهد وهو يصف لسليمان مملكة سبأ.

قال تعالى: (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَـــيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْـجُدُونَ لِلشَّـمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّـيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَـدَّهُمْ عَنِ السَّـــبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْـــجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّـــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)[48].

راح الهدهد يحكي لسليمان(عليه الصلاة والسلام) كلما رآه وما عرفه وهو يبين مضمون النبأ اليقين حيث شاهد امرأة تملك أهل سبأ اسمها (بلقيس) وكان الهدهد مســتغربا متعجبا؛ لان العادة أن يكون الملوك رجال وقد أوتيت من كل شــيء من أسباب الدنيا التي تحتاجها في إدارة مملكتها وأوتيت جمالا وزينة ولها سرير تجلس عليه عظيم مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر[49].

تكلم الهدهد عن ملكة سبأ وقومها بأنهم كانوا يسجدون للشمس ويعبدونها من دون الله وحسن لهم إبليس وحبب ذلك إليهم وجعلها في أعينهم حسنة وصدهم عن طريق التوحيد فهم لا يهتدون إلى الله وتوحيده وإفراده بالعبادة فترى معرفته الدقيقة

بقضـــية التوحيد والعقائد ، ثم ينتقل الهدهد في الكلام ببيان الدين الحق والاعتقاد الصـحيح بأن السـجود يكون لله الذي لا اله إلا هو رب العرش العظيم الذي ليس في المخلوقات أعظم منه, ويعترض الهدهد على هذا الشـرك، ويردُّ عليه بشـيء خاص به، وبظاهر تُهمه: {أَلاَّ يَسْـجُدُواْ للَّهِ الذي يُخْرِجُ الخبء فِي السـماوات والأرض ... } فاختار الهدهد مسألة إخراج الخبْء؛ لأن منه طعامه، فلا يأكل من ظاهر الأرض، بل لا بُدَّ أنْ ينبشَ الأرض، ويُخرِج خبأها ليأكله[50], فان قيل: كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله بالعظمة ؟ فالجواب: إن بين الوصفين فرق عظيم؛ لان وصـف عرشـها بالعظم تعظيم له بالإضـافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك، ووصف عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السماوات والأرض[51].

وقد اسـتنكر الهدهد من شـأن هؤلاء القوم أمرين عظيمين: كون امرأة تملكهم، وكونهم يعبدون الشـمس من دون الله !! ولذلك عمل سـليمان على إزالة هذين المنكرين جميعاً، فلما أرسـل كتابه إليهم أمرهم بأمرين: هو أن يسـلموا، وأن يأتوا إليه، وهددهم بقوله {ألا تعلوا علي} ولو كان متولي أمرهم رجلاً لأمرهم بالإسـلام فقط وأقرهم على ملكهم إن أسلموا، وقد كان هذا في شريعته وشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم فإن النبي كان يدعو الملوك إلى الإسلام، فإن أسلموا أقرهم على بلادهم كما فعل مع ملك عمان، وملك البحرين, ومن لم يقبل الإسلام حاربه[52].

لما سمع سليمان (عليه الصلاة والسلام) ما قاله الهدهد وما تضمنه من اعتذار عن غيابه التمس في قوله الصـدق فلم يتسـرع في الحكم ، وقال: سـنتأمل ونتحقق إن كنت صادق أم كاذب، ودل تقديم الصدق على ترجيحه صدق الهدهد ، ثم أمره بإلقاء الكتاب على بلقيس وقومها وان يتنحى عنهم إلى مكـــان قريب يتوارى فيه؛ ليكون ما يقولونه بمسمع منه وينظر ماذا يجيبون وما موقفهم من الكتاب[53].

قال الطبري: ({أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ} إلى قوله {لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} هذا كله كلام الهدهد)[54].

قال سـيد قطب:(ونجد أنفسـنا أمام هدهد عجيب. صـاحب إدراك وذكاء وإيمان، وبراعة في عرض النبأ، ويقظة إلى طبيعة موقفه، وتلميح وإيماء أريب..

فهو يدرك أن هذه ملكة وأن هؤلاء رعية. ويدرك أنهم يسجدون للشمس من دون الله. ويدرك أن السجود لا يكون إلا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض، وأنه هو رب العرش العظيم.. وما هكذا تدرك الهداهد. إنما هو هدهد خاص أوتي هذا الإدراك الخاص، على سبيل الخارقة التي تخالف المألوف)[55].

قال الزمخشري: (من أحطت إلى العظيم هو كلام الهدهد. وقيل: كلام رب العزة. وفي إخراج الخبء: أمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الأرض، وذلك بإلهام من يخرج الخبء في السماوات والأرض جلت قدرته ولطف علمه، ولا يكاد تخفى على ذي الفراسة النظار بنور الله مخائل كل مختص بصناعة أو فنّ من العلم في روائه ومنطقه وشمائله)[56].

وَلَمَّا كَانَ الْهُدْهُدُ دَاعِيًا إِلَى الْخَيْرِ، وَعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَالسُّجُودِ لَهُ، نُهِيَ عَنْ قَتْلِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنَ الدَّوَابِّ: النَّمْلَةِ وَالنَّحْلَةِ وَالْهُدْهُدِ والصُّرَد[57].

المطلب الثاني: ما يستخرج من قول الهدهد من فوائد وحكم.

ذكر الله عز وجل لنا عن هذا الحيوان الأعجم(الهدهد) العبر البالغة حث لنا عندما نخبر ونبين، أو نبحث وننظر، أو نستدل ونرتب ونعلل- أن نسلك هذا المسلك.

وقد كان في حسن بيانه، وترتيب أخباره، وبديع تهديه، عبارة بالغة لأولي الألباب, فقد تحصن بالعلم، ونوه بالنبأ المتيقن، وفصل النبأ فتكلم عن حال ملكة سبأ الدنيوية والدينية، وتنقل من تشويق إلى تشويق أبلغ منه. فكان متثبتاً فيما أخبر، بارعاً فيما صور، مستدلاً فيما قرر، وفيما أنكر، بصيراً بكيد الشيطان للإنسان، خبيراً بترتيب الأدلة وحسن الاستنتاج؛ وإذا كان الله تعالى قد بعث غرابًا، ليتعلم منه ابن آدم كيف يواري سوءة أخيه، فكذلك ذكر لنا أمر هذه الهدهد الممتاز بين الهداهد تنبيهاً لنا على أخذ العلم من كل أحد، والاستفادة من كل مخلوق[58].

وقد أخذنا من كلام الهدهد هذه الفوائد.

الفائدة الأولى: مخالفة تستحق العفو والشكر.

كان في جواب الهدهد حجة بينة لسبب غيابه، وذلك لأنه لم يذهب عابثاً، ولا لغرض خاص به، وإنما ذهب مستطلعاً مكتشفاً، فحصَّل علماً، وجاء بخبر عظيم في زمن قصير، فرجحت هذه الفوائد العظيمة بتركه لمركزه في الجند فسقطت عنه المؤاخذة.

فإن قيل: إن أصل مفارقته لمركزه دون استئذان كان مخالفة يستوجب عليها العقوبة؟ فالجواب أن هذه المخالفة كانت لقصد حسن وهو الاستطلاع، وأثمرت خيراً، فاستحق العفو عن تلك المخالفة التي كانت عن نظر، ولم تكن عن تهاون وانتهاك للحرمة. أذن هذا التصرف من الهدهد لا يدل على التسيب والتصرف الفردي ، ولكنه يدل على الإيجابية الهادفة بضوابطها، دون الخروج على أهداف القيادة[59].

الفائدة الثانية: أهمية العلم ورفعته:

ابتدأ الهدهد جوابه معتزاً بما أحاط به من العلم، مظهراً لارتفاع منزلته به، متحصناً به من العقاب, ولم تمنعه عظمة سليمان– عليه السلام– من إظهار علمه وإعلان اختصاصه به دون سليمان.

قال ابن القيم: (إن سليمان لما توعد الهدهد بأن يعذبه عذابا شديدا ، أو يذبحه إنما نجا منه بالعلم ، وأقدم عليه في خطابه له بقوله : { أحطت بما لم تحط به } خبرا ، وهذا الخطاب إنما جرأه عليه العلم ، وإلا فالهدهد مع ضعفه لا يتمكن من خطابه لسليمان مع قوته بمثل هذا الخطاب لولا سلطان العلم)[60].

وهكذا ارتفع الهدهد بالعلم ، والعلم دائما يرفع صاحبه ، { يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات}[61].

الفائدة الثالثة: الصغير يعلم الكبير.

هذا الهدهد الطير الصغير أحاط بما لم يحط به سليمان وهو نبي ملك, قد سمع سليمان هذا الهدهد وأقره عليه، فللصغير أن يقول للكبير ولمن أعلى منه: علمت

ما لم تعلم، وعندي ما ليس عندك؛ إذا كان من ذلك على يقين، وكان لقصـــد صحيح.

ومن أدب من قيل له ذلك ولو كان كبيراً جليلاً أن يتقبل ذلك، ولا يبادر برده، وعليه أن ينظر فيه ليعرف مقدار صدق قائله فيقبله أو يرده بعد النظر والتأمل؛ إذ قد يكون في أصغر مخلوقات الله من يحيط علماً بما لم يحط, مثل سليمان- عليه السـلام- في علمه وحكمته، واتسـاع مدركاته, وكفى بمثل هذا زاجراً لكل ذي علم عن الإعجاب بعلمه، والإعزاز بسعة إطلاعه، والترفع عن الاستفادة ممن دونه.

وهكذا ينبغي أن تدرك أنه قد يكون عند من هو أصغر منك سنا، وأقل ذكرا ما ليس عندك، وعليه فاحرص على الاسـتفادة من الجميع، وأحصـل على المعلومة والفائدة من حيث خرجت، وعلى المسلم ألا يتكبر أن يسمع غيره، فلا يدري الكلمة التي ينتفع منها ممن تخرج, وفي المقابل على الفرد أن يدرك أنه قد يكون عنده ما ليس عند من أعلى منه، وربما خطر بباله ما لم يخطر ببالهم أو أحســن ما لم يحسنوه، فعليه حينئذ أن يبادر بالعمل فيما يحسن، مع إخلاص نية وقصد، ومع عدم التطاول على من هو أعلى منه رتبه[62].

الفائدة الرابعة: الصنعة تدل على الصانع وكل يعبر بلسان حاله.

المرء يعرف من سبحات وجهه، وفلتات لسانه, وكثيراً ما تدل كلماته على مهنته أو فكرته أو عقيدته، كما تدل هيئته أو لبسـته وشـمائله فالظواهر دلائل البواطن. وما يباشره المرء تنطبع به نفسه، ويصطبغ خياله، فيجري على لسانه في تشبيهاته وتمثيلاته وفنون قوله، فقد تختلف العبارات عن شيء واحد في وقت واحد باختلاف نفسيات المتكلمين عليه.

وقد عرف الهدهد بين الطيور بثقوب البصـــر، والاهتداء إلى الماء في جوف الأرض، فلما اســتدل ذكر من صـــنع الله ما هو أقرب إليه على وجود ووحدانية الخالق تعالى, وهو إخراج الخبء الذي منه الماء المخبوء في جوف الأرض.

فكل ذي صنعة يستدل بصنعته عن وجود خالق هذا العالم وكماله؛ يشاهد أن صـــنعته ما كانت إلاّ به، وبما له من قدرة فيها وعلم بها؛ فهداه ذلك إلى أن هذا العالم ما كان إلاّ من خالق قادر عالم[63].

الفائدة الخامسة: حمل هم الدعوة بتغيير المنكر.

لقد شاهد الهدهد اثناء طيرانه قوما يعبدون الشمس، شاهد هذا المنكر العظيم، فلم يقف موقفا سلبيا، وإنما ذهب وتحرك وتقصى، وألقى بالنبأ إلى سليمان عليه السلام، باذلا بذلك كل وسعه في تغيير المنكر، وضاربا بذلك أروع المثل في الدعوة الى الله.

لقد فعل الهدهد ذلك كله دون تكليف من احد، أو تنفيذ لأمر صادر، وجلب لسليمان عليه السلام خبرا أدى إلى دخول أمة كاملة في الإسلام, وإن من المسلمين اليوم من هم أبخس حظاً من الهدهد، وأقل حماساً وغيرة، يرون المنكرات والمخالفات والتعديات ولا تأخذهم الغيرة على محارم الله تعالى, فمسكين من كان الهدهد خيراً منه في حمل هم الدعوة[64].

الفائدة السادسة: الهدهد وفن الخطابة.

لقد كان في خطاب الهدهد لسليمان العديد من المهارات والإبداعات التي يحسن للمسلم أن يتعلمها وهو يخاطب الآخرين, فنلحظ أولا إيجازه للخطاب مع سليمان، فقد جمع في أسطر معدودة قصته الطويلة مع هذه الملكة التي تعبد وقومها الشمس, فالهدهد يدرك أنه يخاطب ملكا، والملوك أوقاتهم مليئة بالمشاغل وليس لديهم وقت لسماع التفاصيل والجزئيات، ومن هنا ركز الهدهد على أصول المسائل فأوجز وأبلغ, وهكذا يجب مراعاة ظرف المخاطب ومنزلته ومكانته.

وقد استفتح الهدهد خطابه لسليمان بمفاجأة تطغى على موضوع غيبته، وتضمن إصغاء الملك له، إذ قال: { أحطت بما لم تحط به } ! فالهدهد يعرف حزم الملك وشدته، ولذلك بدأ حديثه, وهكذا يجب ان يكون المسلم في خطابك ذكيا، وأن تفلح في جذب استماع المخاطب، حتى تتمكن من إيصال رسالتك[65].

فهكذا يجب على الدعاة أن يكون لهم مدخل ذكي يشدون به أسماع الناس وتأسر ألبابهم حتى تتسلل كلمات الحق إلى قلوبهم, فالكثيرين من الناس لا يأنسون بكلام الوعاظ، وينفرون من هذه المواعظ المعتادة، وبمجرد أن تبدأهم بالحديث بها أو عنها فإنهم يعرضون، ولذلك فالواعظ بحاجة إلى هذا الأسلوب.

وقد خاطب الهدهد سليمان عليه الصلاة والسلام خطابا هيجه به على الإصغاء إليه والقبول منه فقال أحطت بما لم تحط به وفي ضمن هذا أني أتيتك بأمر قد عرفته حق المعرفة بحيث أحطت به وهو خبر عظيم له شأن فلذلك قال وجئتك من سبأ بنبأ يقين والنبأ هو الخبر الذي له شأن والنفوس متطلعة إلى معرفته ثم وصفه بأنه نبأ يقين لا شك فيه ولا ريب فهذه مقدمة بين يدي إخباره لنبي الله بذلك النبأ استفرغت قلب المخبر لتلقي الخبر وأوجبت له التشوف التام إلى سماعه ومعرفته وهذا نوع من براعة الاستهلال وخطاب التهييج ثم كشف عن حقيقة الخبر كشفا مؤكدا بأدلة التأكيد فقال إني وجدت امرأة تملكهم ثم أخبر عن شأن تلك الملكة وأنها من أجل الملوك بحيث أوتيت من كل شيء يصلح أن تؤتاه الملوك ثم زاد في تعظيم شأنها بذكر عرشها التي تجلس عليه وأنه عرش عظيم ثم أخبره بما يدعوهم إلى قصدهم وغزوهم في عقر دارهم بعد دعوتهم إلى الله فقال: {وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} وحذف أداة العطف من هذه الجملة وأتى بها مستقلة غير معطوفة على ما قبلها إيذانا بأنها هي المقصودة وما قبلها توطئة لها[66].

الفائدة السابعة: التلميح من الهدهد دون التصريح.

حين أخبر الهدهد سليمان عليه السلام بخبر بلقيس وقومها وكفرهم بالله ، لم يقل لسليمان: اذهب فأمرهم بالتوحيد والسجود لله، وإنما قال: { ألا يسجدوا لله الذي

يخرج الخبء... }، فالهدهد هنا ألمح بالحل، ولم يأمر به، اقترح ولم يفرض، عرض ولم يصرح بالتكليف, وبمثل هذا الأسلوب يمكن أن نكسب الناس.

إن طبيعة النفس الإنسانية أنها تنفر من الأوامر الصارمة المتعددة الجازمة، لذلك على من يوجه الناس ويعظهم أن يتجنب صيغة الأمر المباشر، ويحاول اللجوء لأسلوب العرض والاقتراح بان يكن قليل الأوامر، ويأمر بما هو مستطاع وبالتدرج[67].

الفائدة السابعة: الهدهد وتذكير العظيم بمن هو أعظم منه.

عندما أخبر الهدهد سليمان عليه الصلاة والسلام بما ينبغي من أن لا يكون السجود إلا لله قال:{ الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم}، فاختار وصف الله بالعظمة تذكيرا لسليمان بأن هناك من هو أعظم منه، محاولا بهذا أن يخفف من غضب سليمان (عليه الصلاة والسلام) عليه[68].

الفائدة الثامنة: الأمانة في النقل.

الهدهد لم يقنع بأخذ طرف من الأخبار، وإنما مازال ببلقيس وقومها حتى أحاط بأخبارهم، والإحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته, وفي هذا من الدقة والضبط ما لا يخفى.

والواجب علينا دائما ألا نبادر إلى الحكم على الشيء حتى نحيط به، ونلم بجوانبه, وأبرز آفات هذا الضيق في الأفق معاداة المخالف، ذلك أن هذا المعادي لم يحط بالمسألة من سائر جهاتها فيعرف أنها قابلة للأخذ والرد وإنما نظر من زاوية واحدة ظنها الصواب المحض, ومن آفاته الخطيرة شيوع ظاهرة التأثيم والتبديع ، إذ المقترف لهذه الأمور لم يحط بما أخذه على خصمه، ولم يعرف جلية الأمر، ولا نظر الدوافع والأسباب، ولا جمع كلام المتهم كله ليوازن بعضه ببعض وإنما هو في الغالب أخذ ذروا فحكم، أو نظر إل جزء فجزم, فما أحوجنا إلى سلوك هذا الهدهد بان نحيط بالشيء أولا ثم الحكم والتصرف[69].

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. أحكام القرآن, القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي المالكي (المتوفى: 282هـ), المحقق: عامر حسن صبري, دار النشر: دار ابن حزم – بيروت, الطبعة: الأولى، 1426هـ، 2005م.
2. بحر العلوم, أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي, دار النشر : دار الفكر – بيروت, تحقيق: د.محمود مطرجي.
3. البحر المحيط في التفسير, أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (المتوفى: 745هـ), المحقق: صدقي محمد جميل, الناشر: دار الفكر – بيروت, الطبعة: 1420 هـ.
4. البلاغة العربية, عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الدمشقي (المتوفى: 1425هـ), الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت, الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996 م.
5. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد», محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ), الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس, سنة النشر: 1984 هـ.
6. تفسير ابن باديس ((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)), عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ), المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين, الناشر: دار الكتب العلمية بيروت– لبنان, ط/1 ، 1416هـ - 1995م.
7. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم, أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن (المتوفى: 982هـ), الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
8. تفسير الشعراوي – الخواطر, محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ), الناشر: مطابع أخبار اليوم.
9. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير), أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ), المحقق: محمد حسين شمس الدين, الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون, بيروت, الطبعة: الأولى 1419 هـ.

10. تفسير القرآن, أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني, سنة الولادة 426هـ/ سنة الوفاة 489هـ, تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم, الناشر دار الوطن – الرياض, سنة النشر 1418هـ- 1997م.
11. التفسير القرآني للقرآن, عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ), الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.
12. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ), المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق, الناشر: مؤسسة الرسالة, الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.
13. جامع البيان في تأويل القرآن, محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ), المحقق: أحمد محمد شاكر, الناشر: مؤسسة الرسالة, الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
14. الجامع لأحكام القرآن, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671 هـ) , المحقق: هشام سمير البخاري, الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية, الطبعة: 1423 هـ/ 2003 م.
15. الجواهر الحسان في تفسير القرآن, أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ), المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود, الناشر: دار إحياء التراث العربي, بيروت, الطبعة: الأولى, 1418 هـ.
16. حجة القراءات, عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة, دار النشر / مؤسسة الرسالة – بيروت, الطبعة الثانية 1402 – 1982.
17. حياة الحيوان الكبرى, محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (المتوفى: 808هـ), الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت, ط/1424،2 هـ.
18. الحيوان, أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ, تحقيق عبد السلام محمد هارون, الناشر دار الجيل, سنة النشر 1416هـ - 1996م, مكان النشر لبنان/ بيروت.
19. روح البيان, إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ), الناشر: دار الفكر – بيروت.

20. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ), المحقق: علي عبد الباري عطية, الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
21. زاد المسير في علم التفسير, جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ), المحقق: عبد الرزاق المهدي, الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت, الطبعة: الأولى – 1422 هـ.
22. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير, شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ), الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة, عام النشر: 1285 هـ.
23. سنن ابن ماجه, ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ), تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.
24. سنن أبي داود, أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ), المحقق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي, الناشر: دار الرسالة العالمية, الطبعة: الأولى، 1430 هـ – 2009 م.
25. سنن الترمذي, محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ), تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2), ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3), وإبراهيم عطوة عوض (جـ 4، 5), الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر, الطبعة: الثانية، 1395 هـ – 1975 م.
26. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل, محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ), الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان, الطبعة/ الثانية, 1398هـ/1978م.
27. فتح القدير, محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ), الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب, دمشق، بيروت, الطبعة: الأولى – 1414 هـ.

28. في ظلال القرآن, سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ), الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة, الطبعة: السابعة عشر – 1412 هـ.
29. الكشـــاف عن حقائق غوامض التنزيل, أبو القاســـم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـــ), الناشر: دار الكتاب العربي, بيروت, ط/3 , 1407 هـ.
30. الكشــف والبيان عن تفســير القرآن, أحمد بن محمد الثعلبي، أبو إســحاق (المتوفى: 427هـــــ), تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشــور, مراجعة وتدقيق: الأســتاذ نظير الساعدي, الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت, لبنان, الطبعة: الأولى 1422 هـ ,2002 م.
31. المجتبى من السنن, أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي, سنة الولادة 215/ سنة الوفاة 303, تحقيق عبدالفتاح أبو غدة, الناشــر مكتب المطبوعات الإســلامية, ســنة النشر 1406 – 1986.
32. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد, نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي, الناشـــر : دار الفكر، بيروت – 1412 هـ.
33. محاســـن التأويل, محمد جمال الدين بن محمد ســـعيد بن قاســـم الحلاق القاســـمي (المتوفى: 1332هـــ), المحقق: محمد باسل عيون السود, الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت, الطبعة: الأولى – 1418 هـ.
34. المحرر الوجيز في تفســـير الكتاب العزيز, أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلســي المحاربي (المتوفى: 542هـــــ), المحقق: عبد الســلام عبد الشــافي محمد, الناشــر: دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة: الأولى – 1422 هـ.
35. مســند أحمد بن حنبل, أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشــيباني., المحقق: مكتب البحوث بجمعية المكنز, الناشر: جمعية المكنز الإسلامي., ط/1 ، 1431هجرية، 2010 م.
36. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري, الناشر : دار الجيل – بيروت, الطبعة : مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة 1334 هـ.

37. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي, محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (المتوفى : 510هـ), المحقق : عبد الرزاق المهدي, الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت, الطبعة : الأولى ، 1420 هـ.
38. المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل وديا جير الإنكار والتأويل, عبد الفتاح إبراهيم سلامة, الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة, الطبعة: السنة الثانية عشرة، العدد السابع والأربعون والثامن والأربعون، رجب – ذو الحجة 1400هـ/1980م.
39. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير, أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ), الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت, الطبعة: الثالثة – 1420 هـ.
40. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة, محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ), الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
41. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة, محمد راتب النابلسي, الناشر: دار المكتبي, سورية, الحلبوني, جادة ابن سينا, الطبعة: الثانية 1426 هـ – 2005 م.
42. موطأ الإمام مالك بن أنس رواية ابن القاسم, الإمام مالك (179 هـ), المحقق : السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي, الناشر : منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي – الإمارات, الطبعة : الأولى 1425 هـ – 2004 م.
43. الوسيط في تفسير القرآن المجيد, أبو الحسن علي بن أحمد بن الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ), الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان, الطبعة: الأولى، 1415 هـ – 1994 م.

[1] سورة الأنعام: آية 38.

[2] ينظر: في ظلال القرآن, سيد قطب, 2434/5.

[3] ينظر: التحرير والتنوير, ابن عاشور , 238/19.

[4] ينظر: في ظلال القرآن, سيد قطب, 2435/5.

[5] سنن أبي داود, كتاب الجهاد, بَابُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الدَّوَابِّ وَالْبَهَائِمِ, رقم الحديث(2549), 23/3. قال الألباني: حديث صحيح.

[6] مسند احمد, مسند ابي سعيد الخدري, رقم الحديث (11792), 316/18, قال الهيثمي: (رواه أحمد، والبزار بنحوه باختصار، ورجال أحد إسنادي أحمد رجال الصحيح). ينظر: مجمع الزوائد, 291/8.

[7] ينظر: الكشاف, الزمخشري, 355/3, وتفسير السمعاني, 85/4, وزاد المسير في علم التفسير, ابن الجوزي, 356/3, والبحر المحيط في التفسير, أبو حيان الأندلسي, 218/8.

[8] ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, السعدي, 602/1, والوسيط في تفسير القرآن المجيد, الواحدي, 373/3, وزاد المسير في علم التفسير, ابن الجوزي, 356/3.

[9] ينظر: بحر العلوم, السمرقندي, 2/ 576, و البحر المحيط في التفسير, أبو حيان الأندلسي, 222/8.

[10] ينظر: مفاتيح الغيب, الرازي, 24/ 549, وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم, أبي المسعود, 279/6.

[11] ينظر: الجامع لأحكام القران, القرطبي, 170/13, والسراج المنير, الشربيني, 49/3.

[12] مفاتيح الغيب, 549/24.

[13] صحيح مسلم, كتاب السلام, بَابُ النَّهْيِ عَنْ قَتْلِ النَّمْلِ, رقم الحديث (2241), 1759/4.

[14] الجامع لأحكام القرآن, 174/13.

[15] أحكام القران, 472/3.

[16] سنن الترمذي, ابواب العلم, بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ, 50/5, قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ».

[17] ينظر: روح المعاني, الالوسي, 172/10.

[18] ينظر: روح البيان, أبو الفداء, 333/6, و المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل, عبد الفتاح إبراهيم سلامة, 169/1.

[19]ينظر: الجامع لأحكام القرآن, القرطبي, 13/ 171.

[20] ينظر: المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل, عبد الفتاح إبراهيم سلامة, 168/1.

[21] أحكام القرآن, 475/3.

[22] الجامع لأحكام القرآن, 169/13.

[23] ينظر: روح المعاني, الألوسي, 172/10.

[24] البحر المحيط في التفسير, 59/7.

[25] أخرجه النسائي 217/7, وأخرجه احمد, 45/2, قال شعيب الأرنؤوط: (حسن).

[26] روح المعاني, 172/10.

[27] فتح القدير, 151/4.

[28] ينظر: الحيوان, الجاحظ, 262/4.

[29] ينظر: حياة الحيوان الكبرى, الدميري, 498/2, وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة, النابلسي, 226/2, والمعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل, عبد الفتاح إبراهيم سلامة, 169/1

[30] ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة, النابلسي, 225/2.

[31] ينظر: في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير, ابن باديس, 263/1.

[32] ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة, النابلسي, 224/2.

[33] ينظر: الجامع لاحكام القران, القرطبي, 170/13.

[34] سنن أبي داود, كتاب الجهاد, باب في كراهية حرق العدو في النار, رقم الحديث(2675), 309/4, قال شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح).

[35] أخرجه مالك في الموطأ, رقم الحديث (1627), 635/3.

[36] سورة النمل, الآية 18.

[37] تفسير اللباب, ابن عادل, 3958/1, والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج, د وهبة بن مصطفى الزحيلي, الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق, الطبعة : الثانية ، 1418 هـ 271/19

[38] البلاغة العربية, عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي, 39/2.

[39] سورة النمل: الآيات 20–22.

[40] ينظر: الكشف والبيان, الثعلبي, 200/7, والمحرر الوجيز, ابن عطية, 304/4, والجواهر الحسان, الثعالبي, 247/4.

[41] ينظر: في ظلال القران, سيد قطب, 2636/5, وتفسير الشعراوي, 15/ 9605.

[42] ينظر: الجامع لاحكام القران, القرطبي, 180/13, وفتح القدير, الشوكاني, 152/4, وروح المعاني, الالوسي, 179/10, محاسن التأويل, القاسمي, 495/7.

[43] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن, الطبري, 147/19, وتفسير القران, السمعاني, 88/4.

[44] ينظر: حجة القراءات , ابن زنجلة, 525/1, وبحر العلوم, السمرقندي, 578/2.

[45] ينظر: الجامع لاحكام القران, القرطبي, 182/13.

[46] الكشاف, 364/3.

[47] ينظر: البحر المحيط, أبو حيان, 65/7.

[48] سورة النمل: الآيات 23–26

[49] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القران, الطبري, 461/19, و تفسير القرآن العظيم, ابن كثير, 187/6.

[50] ينظر: مفاتيح الغيب, الرازي, 552/24, وفي مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير, ابن باديس, 279/1.

[51] ينظر: الجامع لأحكام القران, القرطبي, 184/13.

[52] ينظر: معالم التنزيل, البغوي, 502/3, و زاد المسير في علم التفسير, ابن الجوزي, 360/3.

[53] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القران, الطبري, 460/19, و السراج المنير, الشربيني, 55/3.

[54] جامع البيان عن تأويل آي القران, 450/19.

[55] في ظلال القران, 2639/5 .

[56] الكشاف, 366/3.

[57] أخرجه أبو داود, 367/4, رقم الحديث (5267)، وابن ماجه, 377/4, رقم الحديث, (5646), قال الألباني: صحيح. والصُّرَدُ: هو طائرٌ فوقَ العصفور يصيد العصافير، وهو أبقع ضخم الرأس يكون في الشجرة نصفه أبيض ونصفه أسود ضخم المنقار، غذاؤه من اللحم، والأصح تحريم أكله. ينظر: حياة الحيوان الكبرى, الدميري, 1/ 612.

[58] ينظر: في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير, ابن باديس, 278/1.

[59] المصدر نفسه, 170/1.

[60] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة, 173/1.

[61] سورة المجادلة, آية 11.

[62] ينظر: الجامع لأحكام القرآن, القرطبي, 183/13, وفي مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير, ابن باديس, 271/1, ومحاسن التأويل, القاسمي, 495/7.

[63] ينظر: في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير, ابن باديس, 278/1.

[64] ينظر: روح البيان, ابو الفداء, 340/6, وفي ظلال القرآن, سيد قطب, 2638/5.

[65] ينظر: في ظلال القرآن 2638/5.

[66] ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل, ابن قيم الجوزية, 71/1.

[67] ينظر: التفسير القرآني للقرآن, عبد الكريم يونس الخطيب, 234/10.

[68] ينظر: تفسير القرآن العظيم, ابن كثير, 169/6.

[69] ينظر: روح المعاني, الالوسي, 182/10.